

جغرافية مدن السودان الغربي وتاريخها السياسي ما بين القرنين السابع والعاشر هجريين

أ. بوكارا ابيدة الزهراء

قسم التاريخ جامعة تلمسان

تعد الدراسات الافريقية في العصور الوسطى حقلا خصبا للبحث لأن المهتمين بها قلة على الرغم مما كتب فيها، ونقصد بالدراسات الافريقية ما تعلق بجنوب صحرائها. رغم أن مساهمات بعض المؤرخين قد أدلت دلوا حسنا سمت مسارا للدارسين والمهتمين بهذا الموضوع، لكن مازال المجال واسعا للمساهمات الجديدة.

ولأن القسم الشمالي أخذ حقه وزيادة من التناول والطرح يبقى القسم الجنوبي بأجزائه الشرقي والأوسط والغربي يحتاج للدراسة والتمحيص، لذلك اخترت أن تكون غرب افريقيا التي اصطلح عليها اسم السودان الغربي موضوعا لمساهمتي في الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والعاشر الهجريين. ابتدأت العمل بالتعريف بهذا المصطلح في شأن تسميته وجغرافيته ومن ثم إلى تحديد جغرافية أهم مدنها التي تحولت إلى حواضر اسلامية لها الشأن العظيم والأثر الحسن في تأصيل الثقافة العربية والاسلامية في أمصار لم تعهد سوى الجهل والوثنية.

دراسة عامة لإقليم السودان الغربي

يعتبر إقليم السودان الغربي حوض صحراوي احتضن الإسلام في مراحله الأولى، وقد أطلق هذا الاسم أول مرة من قبل العرب على أديمها الأسود¹ من جنس البشر منسبين اسم الإقليم إلى سواد بشرة سكانها، أما فيما يخص تحديد الإقليم بالغربي فلأن هناك أقاليم أخرى تحمل ذات الاسم شرقا وغربا.² ويضيف ابن خلدون في مقدمته خاصة في ذكر الإقليمين الأول والثاني في الجزء المخصص للعمران

وما فيه من تجار وأتجار وأقاليم مؤكدا أنها المنطقة التي ساد فيها السواد والحر وأن اللون تابع لمزاج الهواء أي لدرجة الحرارة وبرودتها وفي ذلك يقول ابن سينا في أرجوزته:

بالترنج حر غير الأجساد * حتى اكتست الجلود سوادا
والصقل اكتست البياضا * حتى غدت جلودها بضاضا³

وأما جغرافيا فتشمل منطقة السودان الغربي كل المناطق التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والتي تمتد بين البحر الأحمر شرقا والمحيط الأطلسي غربا⁴ وفي هذا المعنى يذكر زكريا القزويني (682هـ/1283م) في معرض كلامه: "...هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى البحر المحيط..."⁵ ويوافقه أبو عبيد البكري (ت487هـ) في رأيه، كما يجمع المؤرخون على تقسيم السودان إلى ثلاث أقاليم

اذ حصرننا هذه التسمية في المنطقة الممتدة من البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً إلى البحر المحيط - البحر الأطلسي - غرباً.⁶

أما القسم الأول فهو السودان الشرقي الذي يضم مناطق واد النيل وروافده جنوب النوبة⁷ والمعروف عند العرب بالزنج.⁸

ب. السودان الأوسط: يضم حوض بحيرة تشاد والمناطق المحيطة بأفريقيا الوسطى ج. السودان الغربي والذي يشمل بمفهومه الأقاليم التالية: موريطانيا ومالي والسنغال، قامبيا وغينيا، بوركينا فاسو، الطوغو، البنين، نيجيريا كامرون الغابون والكونغو.⁹

أما الحدود الجغرافية للسودان الغربي فتبدأ من شمال الصحراء الكبرى وجنوب خليج غينيا وأما شرقاً فالكامرون وخليج التشاد¹⁰، وأخيراً في الغرب نجد المحيط الأطلسي حيث تقع أراضي غرب إفريقيا ما بين خطي العرض 4° و 16° شمال خط الإستواء و 13° و 17° غرب غرينتش¹¹، لكن في التعريف السياسي للسودان الغربي فهي ما بين الصحراء الكبرى في الشمال وحدود التشاد في الشرق والمحيط الأطلسي في الجهتين الغربية والجنوبية وجمال الكامرون في الجنوب الشرقي¹²، وتضم هذه المنطقة كل من السنغال وغامبيا وغانا وسيراليون وليبيريا، ساحل الذهب والداهومى ونيجيريا بحيث تمثل المنطقة الجزء الكبير من إفريقيا ويتكلم سكان هذه المنطقة لهجات مختلفة مثل لهجة النوي والإيوي واليوربا هذا ما قاله جون فيجي في كتابه عن غرب إفريقيا.¹³

حيث استقرت بهذه المنطقة أجناس بشرية تنحدر من جموع قبائل تتكون من عدة قوميات، يمكننا اعتبار بعضها سكاناً أصليين والبعض الآخر وافدين

إليها وأهم تلك القوميات الماندي، سونرهاي، الهوسا والفلاني¹⁴ ويورد اليعقوبي (895/282 هـ) متحدثاً عن أولاد كوش بن حام بن نوح قائلاً: "... إنهم لما عبروا النيل افترقوا فرقتين، فقصدت فرقة منهم التيمن بين المشرق والمغرب، وهم النوبة، والبحة والحبشة والزنج وقصدت فرقة المغرب -أي غرب إفريقيا- وهم زغاوة والقافو، المرويون، الكوكووغانة.¹⁵

كما يورد بعض المؤرخين أصل سكان المنطقة إلى العناصر الحامية الشرقية يدعون بالأسماء التالية البجة أو الحبشة. يوجد أيضاً قبائل نيلية وزنجية وهم المدعوون بالكوش¹⁶ وأما تغيرت الأسماء فأصول هذه المنطقة غالب عليها اللون الأسود يلقبون بالزنوج الذين عمروا إفريقيا الغربية وهم السكان الأوائل خاصة حين نحدد منطقة الغرب من السودان، يتجلى ذلك في تواجدهم على ساحل غانا والمنطقة الممتدة على نهر السنغال شمالاً والمنطقة الساحلية بين نهر السنغال وغامبيا، يلقبون بالولوف أو الـ "Wolf" والقبيلة الأخرى تلقب بـ "السرير".¹⁷

أما الـ ولوف فهم الأكثر سواداً بين الزنوج -الأسود الأبنوسي- لهم خاصية قوة البنية الجسدية، فيذكر أبو حامد الغرناطي أن أهل غانة أحسن السودان سيرة وأجملهم صورة، بسط الشعور فيهم عقولهم وفهم¹⁸، بينما السرير فيحملون صفات أكثر خشونة من الـ ولوف لكنهم أقل سواداً منهم (يتمركزون في أعالي نهر النيجر) طوال القامة وأقل بنية جسدية يتمركزون في أعالي النيجر، يتكلمون لغة "الماندينغو" ومنهم تفرعت جماعات أسست أهم الدول في السودان الغربي كجماعة السننكي التي ساعدت في بناء دولة غانا قبل دخول

الإسلام إليها. ثم جماعة "مالنكي"، "Malinke" التي أسست دولة مالي القديمة¹⁹ مملكة غانا

ان دراسة بلاد السودان تستوحي دراسة مفصلة لممالكها، نقصد بالذكر كل من مملكة غانة، مالي مملكة سنغاي، هذا بعد دراسة الواقع الجغرافي البشري لاقليم السودان الغربي²⁰ وقد اكتشف هذا الموضوع نوع من الغموض من خلال اختلاف اراء العلماء في مس آلة الأسبقية التاريخية لتلك الممالك الثلاثية. فبعض الإراء تؤدي رأي اقدمية كل مملكة على حدى ونرفض فكرة ميراث الملك بدء من غانا إلى مالي ومنها إلى مملكة سنغاي. والرأي الآخر يؤيد قضية توارث الملك من غانا فمالي ثم مملكة السنغاي.²¹ أما نحن فمع رأي الأغلبية المتمثل في الترتيب التاريخي لممالك السودان من غانا إلى سنغاي²²

اذن تعتبر دولة غانة أقدم دولة في غرب إفريقيا -السودان الغربي- وهي أيضا أول دولة إسلامية هناك خلال القرون الوسطى وحتى نتعرف أكثر على أهم التفاصيل نعرّج إلى ذكر موقعها ومسألة تسميتها.²³ لقد وردت تسمية غانا في العديد من أمّهات الكتب مثلما كتب البكري وياقوتي الحموي وابن خلدون وابن حوقل المسعودي واليعقوبي، السعدي ومحمود كعت وغيرهم كثير.²⁴ فمنهم من تحدث عن غانة الإسلامية وذكر أهم معالمها ومنهم من تحدث عن غانة القديمة التأسيس والوثنية الديانة وكيف حاول الإسلام تغير منهجها ومذهبها فها هو أبو عبيد الله البكري يتحدث في معرض كلامه عن غانة القديمة التي تدين الوثنية والجوسية موضحا أنها لم تكن مسلمة في كامل ترابها حيث

هناك مدينتان سهليتان إحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا وفيها فقهاء... وحملة علم.... ومدينة الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغية والمساكن بينهما من صلة ومبانيهم بالحجارة وخشب السنتط...

وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يغد عليه من المسلمين... وفيها دكاكيرهم²⁵ وقبور ملوكهم...²⁶ "كما يتفق عبد الله الإدريسي في وصف موقع غانة عاى ضفاف نهر النيجر متحدثا بمايلي: "أن مدينة غانة الكبرى مدينتان على ضفتي البحر الحلو²⁷ وهي أكثر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا وأوسعها متجرا، وإليها يقصد التجار المياسير من جميع البلاد المحيطة بها ومن سائر بلاد المغرب الأقصى أهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب²⁸.

يذكر ابن سعيد المغربي في كتابه مدينة غانة على النحو التالي: أنها تقع على ضفتي النهر الذي يحمل اسمها -نيل غانا-²⁹ مؤكدا النسب الشريف لملكها الذي ينحدر من ذرية الحسن بن علي عليه السلام³⁰ إذن فغانة هي الدولة الواقعة على ضفاف نهر النيجر جنوب الصحراء وللتأكيد على أمر موقعها الجغرافي.

يورد الإدريسي رأيه قائلا: "... أرض غانة تتصل من غربها ببلاد مقزارة... ومن مشرقها ببلاد ونقارة، وشمالها بأرض الصحراء المتصلة ببلاد السودان وأرض البوبر من اللملمية وغيرها. ومن مدينة غانة إلى بلاد ونقارة ثمانية أيام..."³¹

ويقصد بدولة غانا المنطقة التي تضم كل من موريتانيا والجزء الشرقي من السنغال ثم بعض الأقاليم الخاضعة لمالي ويمكن تحديد المنطقة غانا بالمنطقة الواقعة بين نهري السنغال والنيجر من القرون الأول الميلادي حتى عام 1240م مؤسسة حضارة عريقة متمثلة في مملكة "أوكارا"³² أما بخصوص تسميتها بهذا الاسم فيبدو أنه ساد الاتفاق في معظم الكتابات التي تناولت غانا بالدراسة معتمدين في ذلك على رأي البكري في تحديد أصل تسمية غانة والتي تعني القيادة العسكرية حيث شملت المدينة التي وجدت فيها مركز القيادة العسكرية كل الدولة³³.

وهذا الذي عرضه البكري في كتابه قائلا: "... وغانة سمة للموكها واسم البلد أوكار واسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين وأربع مائة تنكامين وولي سنة خمس وخمسين..."³⁴

وقد سميت ببلاد الذهب، هذا ما اتفق عليه معظم مؤرخي غرب إفريقيا. لماذا؟ لأنها المنطقة التي احتكمت على مناجم الذهب أو قل أن ذهب غانا على غرار ذهب السودان الغربي كان ينبت كما ينبت العشب.³⁵

مملكة مالي

تعدّ دولة مالي من أقوى دول السودان الغربي صيتا في العصور الوسطى بعد أن كانت خاضعة لدولة غانا ردحا من الزمن بين بداية القرن الثاني عشر إلى نهاية الخامس عشر³⁶، فقد أعلنت مالي قيامها على أنقاض مملكة "غانا" وامتد سلطانها إلى شواطئ المحيط الأطلسي غربا وبعض مناطق الصحراء شمالا³⁷

وقد حدد الحسن الوزان مساحتها بثلاثمائة ميل وأنها تمتد على طول أحد فروع النيجر، محدودة بجبال وعرة وغربا غابات مسحورة التي تمتد إلى المحيط وشرقا إلى إقليم كانو.³⁸ بينما يحدثنا القلقشندي عن مساحة مالي قائلا أنها مسافة أربعة أشهر فأكثر وكذلك مثلها طولاً.³⁹ لقد اختلفت الروايات في تحديد أرجاء مالي، لكن المؤكد أن مالي كانت واسعة الامتداد ضمت مناطق جديدة لم تكن تخضع لمملكة غانة وبذلك فقد فتح ملوك مالي أقاليم أخرى ساهمت في اتساع مساحة مالي⁴⁰، فهي رقعة امتدت من المحيط الأطلسي غربا إلى بلاد "كانم" و"البورنو" و"الهوسا" شرقا ومن غابات السفانا جنوبا والصحراء الكبرى شمالا.

ويعود الفضل في ذكر مالي وسائر مناطق السودان الغربي إلى قلة من المؤرخين العرب الذين دوّنوا مشاهداتهم، فيكاد يكون البكري أول المؤلفين العرب الذين ذكروا مالي⁴¹، ثم العمري والقلقشندي وبعدهما ابن خلدون وابن بطوطة ثم الحسن الوزان ومن المؤرخين المتأخرين السعدي عبد الرحمن ومحمود كعت.⁴² وإذا توقفنا عند مسألة تسمية مالي فهناك اختلاف في أسمائها خاصة عند قبائل الماندي والفلواني وفي اللهجات البربرية بما يلي "المال" "الملل" "المل" و"المليت" وقد سكن مالي قبائل الماندينغ الذين يتفرعون إلى الماندي الشمالي والجنوبي والمانديكا في وادي النيجر والماندينج "Manding"⁴³ في الجنوب بالإضافة إلى الجالية المسلمة والتي تتنوع بين العرب والبربر.⁴⁴

كما تعني كلمة مالي في اللغة الملائكية المكان الذي يقطن فيه الملك وفي رواية أخرى هي البرنق أو فرس النهر، وقد اعتبر القلقشندي أول من وضح نطق كلمة مالي في معرض كلامه: "مالي الذي يكون بفتح الميم ولام مشددة مفخمة وياء مثناة"⁴⁵

وقد اشتهرت مالي باسم "التكرور"⁴⁶ ساعدت على نشأة هذه المملكة -مالي- الظروف التي هوت بمملكة غانة ويمكننا القول أن أساس الدولة المالية بنيت على أنقاض دولة غانة التي شهدت اضطرابات داخلية ناجمة عن تمرد قبائل الصوصو على غانة فبعد أن فتح المرابطون غانة سنة 1076 واستتب الأمر لهم فيها بدأ ملوك وأمراء غانة في المغالاة في الضرائب أو الجزية على شعب الصوصو في أطراف الدولة والضغط الداخلي على قبائل الماندي مما دفع بشعب الصوصو إلى لمّ نفسه وتوحيد قوته بزعامة "سوندياتاكايتا" وأطاح بعاصمة غانة "كومي صالح" سنة 1203.⁴⁷

وبحكم ديمومة الحياة التي تفرض البقاء للأقوى استطاع أحد حكام مالي والمسمى "سوندياتاكايتا"⁴⁸ عام 1235 م من ردع المتمردين⁴⁹ وهو صاحب الفضل في تأسيس الركائز الأولى لمالي⁵⁰، فقد نقل العاصمة إلى "نياني" على شاطئ نهر السانكار واهتم ببناء الدولة ذات الدعائم حيث ركز اهتمامه بتشجيع الزراعة والصناعة وأعطى عناية كبيرة للتجارة لاسيما تجارة الذهب.⁵¹ وبدأ بعد ذلك حكم المنسي موسى (1311-1331م) -يسميه العرب سلطان التكرور- الذي ترك أثر كبير في بناء الدولة حين وصل بالبلاد إلى درجة عالية بلغت

سمعتها الأندلس وأوربا مع المشرق الإسلامي حيث أصبحت حواضرها مراكز إشعاع ثقافي واقتصادي.⁵²

وقد عمل المنسي موسى جاهدا على تقريب رعيته منه بالمعاملة والاهتمام مما ساهم في توطيد دعائمه في الحكم.⁵³ وانتقل الحكم من المنسي موسى إلى المنسي سليمان الذي يعتبر آخر السلاطين في عصر القوة والازدهار لدولة مالي. وبعده دخلت مالي في عصر الانحطاط والضعف واجتمعت أسباب كثيرة لذلك أهمها انشقاق جسد الدولة الواحدة بين القبائل حيث استولى الطوارق⁵⁴ على تمبوكتوجيني، هجوم قبائل الموسى الوثنية على جنوب مالي وقبائل الولوف على الغرب وقبائل سنغاي من الشرق مع تسلط واستبداد كبار الموظفين على السلطة، الأمر الذي أثقل كاهل الدولة وأدى إلى انقراضها لبدأ عهد وحكم جديدين في السودان الغربي بقيادة سينغاي.⁵⁵

مملكة سنغاي

تأتي سنغاي كثالث حلقة في تاريخ السودان الغربي، إذ يمكن القول أنها آخر وريث لعرش الحكم والقوة في غرب إفريقيا⁵⁶ وللتعريف بهذا الإقليم علينا نبدأ أولا عند مسألة التسمية لمملكة سنغاي وحتى الكتابة، فمنهم من يكتبها بالسين ومنهم من يكتبها بالصاد.⁵⁷ إن ما يخص تسمية المملكة فقد تطرق إليها الدكتور هارون ميغاي مقال وتعرض إليها بالتفصيل.

أما مملكة سنغاي فقد كان ظهورها مع القرون الأولى ميلادية⁵⁸، فقد كانت معاصرة لإمبراطورية مالي وغانة، كانت تدين الوثنية قبل انتشار الإسلام منذ حوالي القرن السابع الميلادي⁵⁹.

استوطن المنطقة شعوب اختلطت لتكون تركيبة سكانية من عرب، بربر وزنوج متفرعة أهمها قبائل السنغاي أوسونرهاي الذين تمركزوا بالأقاليم الواقعة جنوب تمبوكتو وتمتد على ضفتي نهر النيجر إلى مدينة داندي ومنها إلى جنوب فولتا العليا وشمال نيجيريا.⁶⁰

وقد قاد المملكة أسرة كانت تدعى "داب" إلى غاية 1325 م جاعلين من مدينة كوكيا عاصمة لهم. وكان أول من تملك دولة سنغاي "زا الأيمن"⁶¹ ليخلفه أربعة عشرة ملكاً⁶².

يعد الملك "زاكاس"⁶³ - 1009م - أول من أسلم منهم⁶⁴ وأول ما قام به "زاكاس" نقل العاصمة من "كوكيا" إلى "غاو" آخذاً بعين الاعتبار موقعها الاستراتيجي الممتاز ذلك لتوسطها في المملكة الذي يجعلها همزة وصل للقوافل التجارية القادمة من المغرب الإسلامي أو من الشرق والتي كانت دسمة بالبضائع وعامرة العلماء والدعاة لتحمل في طريق عودتهما طلاب العلم من السودان، كل له وجهته سواء مصر أو المغرب الإسلامي أو إلى الأندلس.⁶⁵

وفي هذه الفترة ظهر تنافس شديد بين المملكتين - مالي وسنغاي. ساهمت فيها عدة أسباب منها رغبة كل دولة في تكوين وحدة إسلامية على حساب الأخرى.

وتعتبر هذه المسألة المحرك الأساسي لتدوير عجلة الصراع بين الدول الإسلامية في غرب إفريقيا، فلما أفل نجم مالي في حوالي القرن الخامس عشر رجحت كفة سنغاي بقيادة أحد ملوكها "محمد دوغو" عام 823هـ/1420م الذي ثبت دعائم حكمه على حساب مالي. ثم وصل زمام الأمور إلى سني علي وبذلك تحول لقب الملك من "زا" إلى "سني".⁶⁶ ويعتبر "علي كولن" أي - سني علي - المؤسس الحقيقي لمملكة سنغاي حيث بدأ التوسع الفعلي للمملكة على حساب القبائل المجاورة، فاستعاد تمبكتو عام 1468م/873هـ، ثم أخضع منطقة النيجر كلها واستولى على "جنّي" عام 1473م وفي بعض الروايات يقال في سنة 1475، وقضى على قبائل الموسي الوثنية سنة 1483م.⁶⁷

قد وضع "سني علي" بصمته في تاريخ سنغاي من الجانب العسكري فعرف باندفاعه وقوته المسيطرتين أينما حلّتا. أما في إسلام هذا الملك وتدينه فقد أسال حبر كثير من المؤرخين الذين شككوا في تحمسه لدينه ومنهم من كفروه وتحاملوا عليه. على رأسهم السعدي⁶⁸

ل فلا بأس أن نورد رأيه في المسألة. "وأما الظالم الأكبر والفاجر الأشهر "سن علي" برفع السين المهملة وكسر النون المشددة... فإنه كان ذوقوة عظيمة وممتنة جسيمة ظالما فاسقا متعديا متسلطا سفاكا للدماء قتل من الخلق ما لا يحصيه إلا الله تعالى وتسلط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة..."⁶⁹

ويورد المؤرخ محمود كعت: "... ثم خلف سلّم دَام الظالم الفاجر الملعون

المتسلط شني عال⁷⁰ وهو آخرهم... وهو سلطان قاسي القلب...⁷¹ ورأيهما مهم في ثبوت تحامل المؤرخين على هذا السلطان لأتهما من المؤرخين المعاصرين لمملكة سنغاي وأقربهما لنقل الصحيح من مشاهداتهم. ثم ينتهي حكم "سني علي" بعد ثمانية وعشرون سنة. توفي سنة 1492م ويصبح الحكم في يد أحد أولاده وكان يدعى "أبوبكر" والملقب بـ "كربير". عرف بضعفه وفشله وذيوع مفسده، لم يلق ترحيبا من العلماء والنخبة، لذلك عمل وزيره "محمد أبوبكر" الملقب بمحمد الطوري بالانقلاب عليه والاستيلاء على الملك. ومنذ ذلك الحين أطلق عليه اسم أسكيا - أو أسكيا - بمعنى المغتصب. أي أن وصوله إلى الحكم لم يكن شرعي، وقد كان ذلك سنة 1493م إلى 1528م.⁷² يتحدث عنه السعدي في معرض كلامه قائلا: "... ثم نصر الله تعالى الأسعد الأرشد محمد بن أبي بكر وهرب سني أبوبكر داعو إلى أين فبقي... فتملك الأسعد الأرشد يومئذ وكان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ولما بلغ الخبر بنات سن علي قالت أسكيا معناه في كلامهم لا يكون إياه فلما سمعه أمر ألا يلقب إلا به فقالوا أسكيا محمد⁷³، ففرج الله تعالى عن المسلمين الكروب وأزال به عنهم البلاء والخطوب..."⁷⁴

فقد عرف هذا الملك بحبه للعلماء والفقهاء وإرجاء الحل والربط بيد أصحاب الحكمة والعلم، وبلغت الدولة في عهده أوجها وعلوها حيث نظمت الإدارة وجهاز الجيش وفتحت البلاد وانتعش الغباد بضم أقاليم جديدة في الشمال وعلى سواحل الأطلسي لتمتد من مناطق قبائل الفولاني ومنها إلى

حوض السنغال في الغرب ثم منطقتي أغدس ودندي والهوسا شرقا وجنوبا بلاد موسى على حوض النيجر حتى عمق الصحراء شمالا.⁷⁵ إهتم الأسقيا محمد⁷⁶ باستجلاب الفقهاء والقضاة والعلماء ونال إحترامهم وتقديرهم من أجل تصحيح فكرة وصوله للملك في أعين الخاصة والعامة. وأهم حدث في تاريخ "الأسقيا محمد" خروجه لأداء فريضة الحج سنة 1497 في موكب مهيب من حيث العدة والعدد - عدد كبير من العلماء والأعيان والدواب المحملة بالأمتعة والذهب⁷⁷ إضافة إلى سابقة شراء وقف في الأراضي المقدسة بني عليها مساكن خاصة بحجي السودان الغربي⁷⁸ انتهى عهد "محمد الأسقيا" عام 1528 م لينتقل الملك إلى أبنائه⁷⁹ ثم إلى آل أسقيا، من أهم أولئك الحكام أسكيا داوود (1549-1582م) وقد كانت فترة حكمه طويلة تمكن من وضع بصمته فيها حيث تميزت بغزواته العديدة اشتهر بمحنه السياسية في إدارة الحروب، لكن بعد ذلك تضعضع الملك في سنغاي وبدأ العد التنازلي لعمر المملكة.⁷⁹

الهوامش

- ¹ وتذكر الروايات في نفائس الكتب أن السود هم أولاد كوش بن حام بن نوح وأن منهم الحبشة والسودان. ينظر: أبو أحمد، ابن أبي يعقوب، تاريخ يعقوبي، بيروت: طبعة دار صادر 1992، ص 191، ينظر أيضا: عبد الرحمن، بن خلدون، المقدمة، تحقيق: خالد، عطار، لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر 2001، ص 98 المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين، دم: مطبعة التجارية، ج 2، 1958، ص 4.
- ² محمود شاكر، مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا السودان، ط 2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1401هـ/1981م، ص 09.
- ³ بن خلدون، المصدر نفسه، ص 99.
- ⁴ محمد فاضل، إبراهيم، كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا، تاريخ ومحاضرة، ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2007، ص 19-20.
- ⁵ القزويني، آثار العباد وأخبار البلاد، بيروت: دار صادر، 1969، ص 22.
- ⁶ هارون، المهدي ميغا، إمبراطورية سنغاي: دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقيا، مجلة دراسات، إفريقية، مركز الدراسات الإفريقية، ع 37، ص 1-2.
- ⁷ النوبة: تعني بلاد الذهب عند قدماء مصر، عاصمتها مدينة دنقلة العجوز التي فتحت فثانيا على يد السلطان ابن قلاوون سنة 1318م، يرجع: محمود شاكر، مرجع سابق، ص 11-12. يذكرها البلاذري قائلا: "... حدثني محمد بن سعد قال؛ حدثني محمد بن عمر الواقدي عن الوليد بن كثير عن يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير قال: لما فتح المسلمون مصر بعث عمر بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل، فبعث عقبة بن نافع الفهري وكان نافع أخا العاص لأمه، فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل صوائق الروم، فلقي المسلمون في النوبة قتالا شديدا، رشقوهم بالنبال. ينظر: البلاذري، فتوح البلدان... ص 151.
- ⁸ يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر والعشرين، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 1996، ص 08.

- ⁹ يحيى بوعزيز، المرجع نفسه، ص 09.
- ¹⁰ نفسه، ص 09.
- ¹¹ محمد فاضل، ابراهيم كريدية، المرجع السابق، ص.ص 19-20.
- ¹² فيجي جي دي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة وتقديم: يوسف نصر، ط1، أسيوط: دار المعارف، قسم التاريخ، كلية الآداب، 1982، ص 15.
- ¹³ عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء -مرحلة انتشار الإسلام، بنغازي: منشورات جامعة قازيونس، 1997، ص 09.
- ¹⁴ هارون المهدي ميغا، المرجع نفسه، ص 3.
- ¹⁵ أبوأحمد، بن أبي يعقوب، تاريخ يعقوبي، المصدر نفسه، ص.ص 193-194.
- ¹⁶ محمود شاكر، المرجع نفسه، ص 10 هارون ميغا، المرجع نفسه، ص 13.
- ¹⁷ علي ناجي، لغات عن الاسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، الكويت: دار الكتاب الحديث، د.ت، ص.ص 5.
- ¹⁸ أبوحامد، الغرناطي الأندلسي، تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، تحقيق: اسماعيل العربي، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989، ص 35.
- ¹⁹ جون فيجي، المرجع نفسه 51، وينظر ايضاً: علي ناجي، المرجع نفسه، ص 53 وينظر ايضاً: محمد، فاضل، المرجع نفسه، ص 12.
- ²⁰ نقصد بالواقع الجغرافي والبشري ما ورد في التعريف العام للسودان الغربي.
- ²¹ هارون ميغا، مرجع سابق، ص 3.
- ²² عطية مخزوم، مرجع سابق ص 234، يرجع أيضاً: محمد فاضل، إبراهيم كريدية مرجع سابق ص.
- ²³ عطية مخزوم الفيتوري، المرجع نفسه، ص 232...
- ²⁴ ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: احسان عباس، ط2، ج4، بيروت: مكتبة لبنان، 1984، ص 184، محمد فاضل، إبراهيم كريدية، نفس المرجع، ص 58..، ينظر: إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 284.

- 25 الدكاكير: جمع الذكور وتعني الصنم ابوالوثن، يذكر البكري في كتابه المغرب في ذكر إفريقيا المغرب، الجزء الخاص من كتابه المسالك والممالك في أكثر من مقام عبید الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، مقتطف من المسالك والممالك، تحقيق: دي سلان، 1965، ص 275-276.
- 26 أبوعبید البكري، مصدر نفسه، ص 274-275.
- 27 البحر الحلو: يقصد به ماء نهر النيجر العذب، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص 282.
- 28 عبد الله الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن: مطبعة بريل، 1863، ص 38.
- 29 نيل غانة: يقصد به نهر النيجر وفي كل الكتابات القديمة تذكر أنهار غرب إفريقيا سواء نهر السنغال أو نهر غانة باسم النيل، ربما لعظم شهرة النيل فب القدم. ينظر: إسماعيل العربي، المرجع نفسه، ص 286.
- 30 الإدريسي، المصدر نفسه، ص 177.
- 31 عطية، مخزوم، الفيتوري، المرجع السابق، ص 233، يتفق معه أيضا محمد فاضل كريدية مرجع سابق، ص 59.
- 32 البكري، مصدر سابق، ص 174، ينظر: عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص 233-234.
- 33 محمد فاضل، ابراهيم كريدية، مرجع سابق، ص 58.
- 34 البكري، مصدر نفسه، ص 174، ينظر: عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص 233-234.
- 35 جون فيجي، المرجع نفسه، ص 40-45.
- 36 الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط 2، بيروت: دار الغرب الإسلامية، 1983، ج 2، ص 164.
- 37 الخليل النحوي، بلاد شنقيط "النارة والرباط" عرض للحياة العلمية والإشعاع الثقافي والجهاد الديني من خلال الجامعات البدوية المتنقلة (مخاض)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 18.
- 38 الحسن الوزان، المصدر نفسه، ص 164.
- 39 القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت، ص 283.
- 40 عطية مخزوم، مرجع نفسه، ص 235.

- 41 يقول عنها ابن سعيد، أنها الواقعة شرق إقليم كوك وقاعدة مملكة مالي، ينظر: ابن سعيد، علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، بيروت، المكتبة التجارية، 1970، ص 92.
- 42 محمد فاضل، إبراهيم كريدية، مرجع نفسه، ص 79 وينظر: إسماعيل، العربي، مرجع نفسه، ص 281-286.
- 43 جون فيجي، مرجع نفسه، ص 51.
- 44 أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية لتوات عصره وآثاره، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1999-2000، ص 19.
- 45 القلقشندي، المصدر السابق، ص 288.
- 46 تكرور: أطلق هذا الاسم على الإقليم الغربي من الجنوب السوداني، وهو إسم شائع في الحرمين الشريفين ومصر. ينظر: محمد بن عثمان فودي، إنفاق المسور في تاريخ التكرور، تحقيق: هيجة الشادلي، الرباط: جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1996، ص 47. يقول عنها "البرتلي أنها إقليم واسع ممتد شرقا إلى أدغاغ، ومغربا إلى بحر بني زناغية وجنوبا إلى بيط وشمالا إلى أدرار" ينظر: البرتلي، أبي عبد الله، فتح الشكور في معرفة أعيان وعلماء التكرور، تحقيق: حجي محمد وإبراهيم الكتاني، ط 1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981، ص 26.
- 47 عطية مخزوم، الفيتوري، مرجع سابق، ص 2.
- 48 وقد اختلفت المصادر في إسم هذا الزعيم فيذكره ابن خلدون بإسم ماري جاطة الذي يعني الأمير والأسد. ينظر: مبخوت، بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بنوزيان، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الآداب علوم إنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2005-2006، ص 43-44.
- 49 مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص 43.
- 50 ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ص 413.
- 51 نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، دمشق: مكتبة الأطلس، 1963، ص 69.
- 52 مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص 46.
- 53 عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، تحقيق: هوداس، باريس: مطبعة بردين، 1964، ص 32.

- 54 الطوارق يذكرهم السعدي في كتابه تاريخ السودان قائلًا: هم قبائل المسوفة من صنهاجة، يرفعون نسبهم إلى قبائل حمير وهم المثلثون. ينظر: عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، المصدر نفسه، ص 25.
- 55 جون فيجي، المرجع السابق، ص 53، ينظر أيضًا: عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا جنوب الصحراء، الجزائر: مؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، 1989، ص 20.
- 56 محمد فاضل إبراهيم كريدية، مرجع سابق، ص 109، ينظر أيضًا: عطية مخزوم، مرجع سابق، ص 304.
- 57 إبراهيم ميغا، مرجع نفسه، ص 2.
- 58 المرجع نفسه، ص 2.
- 59 عطية مخزوم، مرجع نفسه، ص 302، عبد القادر زبادية، مرجع نفسه، ص 20.
- 60 ميخوت بودواية، المرجع نفسه، ص 48.
- 61 زا الأيمن: يورد السعدي أنه قدم من اليمن، وقدمه إلى كوكيا في وقت أين كان الشعب السنغاي يعاني من جيروت حوت كبير كانوا يعبدونه ويهابونونه، حتى قدم "زا" ورمى عليه الحديد وقتله فخلص أهل سنغاي منه فنصبوه ملكا عليها، السعدي، مصدر نفسه، ص 62.
- 62 أربعة عشرة ملك هم: علي كلن، سليمان نار، إبراهيم كاباي، عثمان كافانا، باري كينا، محمد دع، محمد كونيحيا، محمد فاري، كارييفو، ماري. كول، ماري هاي ماردانو، سليمان دم علي بير "باري دع" نقلا عن: إسماعيل العربي، مرجع سابق، ص 382.
- 63 زاكاس أوزاكاسي: هو الملك الخامس عشر من أسرة دايا وهو أول من أسلم، يذكر السعدي أنه كان ينعت بـ "مسلم دم" بلغة البلاد أي أنه مسلم طوعا بلا إكراه وكان ذلك في 400 هـ/1009م، ينظر السعدي، مصدر نفسه، ص 3.
- 64 محمد فاضل، إبراهيم كريدية، مرجع نفسه، ص 111-112.
- 65 المرجع نفسه، ص 112.
- 66 محمد فاضل، إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص 113.
- 67 عطية مخزوم، المرجع السابق، ص 303، ينظر أيضًا: نعيم قداح، حضارة الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية، دمشق: مكتبة الأطلس، 1963، ص 69.

- 68 يورد السعدي رأي السيوطي في سني علي عند ذكره لحوادث القرن التاسع هجري قائلا: "...أن رجلا ظهر بالتكرور يقال له سنّ علي أهلك العباد والبلاد ودخل في السلطنة سنة تسع وتسعين وثمانماية..." ينظر: السعدي، المصدر السابق، ص 64.
- 69 عبد الرحمن السعدي، المصدر نفسه، محمد فاضل، إبراهيم كريدية، مرجع نفسه، ص 64.
- 70 شني عال: يذكر محمود كعت الملك "سني علي" باسم شني علي ويعترف بقوته وقوة جيشه قائلا: "... وكان منصورا وما قابل أرضا قصده إلا خربه وما كسر له جيش كان فيه قط غالبا غير مغلوب [P.12] لم يترك بلدا ولا مدينة ولا قرية من أرض كنت إلى شبردك إلا وقد جرى خيله فيه وحارب أهله وغار عليهم..." ينظر: محمود، كعت التمبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، باريس: دار هوداس، 1964، ص 43.
- 71 محمود كعت، مصدر نفسه، ص 43.
- 72 عطية مخزوم، مرجع سابق، ص 306.
- 73 لقد كان الملك محمد أسكيا قائدا عسكريا وإداريا مقتدرا، محنكا متضلعا حيث وسع نطاق سنغاي الجغرافي، عمل على تقريب الفقهاء والعلماء وأحسن معاملتهم لينال احترام الخاصة والرعية. ينظر: عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص 306.
- 74 السعدي، مصدر نفسه، ص 72.
- 75 عطية مخزوم، المرجع نفسه، ص 307.
- 76 تولى كرسي الحكم تسعة ملوك من آل اسقيا من بينهم الأسقيا موسى 1531/1528 وبعده الأسقيا موسى المتعطش للدماء، ليلي الحكم الأسقيا محمد الثاني حكم ستة أعوام، لياقي إسماعيل ويعتلي عرش الحكم من 1537 إلى 1539 وينتقل الحكم بعد ذلك إلى إسحاق الأول 1539-1549، اجري عملية تطهيرية في الإدارة وبعده أخوه الأسقيا داوود 1549-1582 ليخلفه الحاج الاسقيا محمد الثالث 1582-1586 ليعزله أخوه محمد بان من 1586-1588 ثم الأسقيا إسحاق الثاني 1588-1591 الذي دخل في عراك مع السلطان أحمد المنصور الذهبي سلطان المغرب الأقصى بغية الاستلاء على مناجم ملح تغازا وجلب معادن التبر. ينظر: مبخوت، بودواية، مرجع سابق، ص 50-52.

⁷⁸ السعدي عبد الرحمن، المصدر نفسه، ص.ص 75-76.

⁷⁹ عبد القادر زبادية، مرجع سابق، ص 43، ينظر أيضا: يحيى بوعزيز، مرجع سابق، ص 73، عطية مخزوم، مرجع نفسه، ص 310-311، وينظر أيضا: مبخوت بودواية، المرجع نفسه، ص 51.